الفطحية بين النشأة والأنحسار دراسة تحليلية لمسارها حتى الاندثار

أ.م.د علي ابراهيم عبيد (البصير)

ali76@uomustansiriyah.edu.iq

م.م وداد محمد عبد الله حمادي

wedadmhmd@uomustansiriyah.edu.iq

أ.د لمى فائق احمد

dr.lumafaik@yahoo.com

الجامعة المستنصرية / كلية الآداب / قسم التاريخ

الملخص

يتناول البحث شخصية عبد الله بن جعفر الصادق، المعروف بـ"الأفطح"، ودوره في أزمة الإمامة بعد استشهاد والده الإمام الصادق (عليه السلام). ويسلط الضوء على نشوء فرقة "الفطحية" التي تمسكت بإمامته استنادًا إلى كونه الابن الأكبر، دون استناد عقدي أو نصّ شرعي. يبيّن البحث أن شخصية عبد الله لم تكن ذات حضور علمي أو قيادي يُعتد به، ما ساهم في تلاشي تياره سريعًا. كما يناقش دلالات لقب "الأفطح" وأثره في صياغة هوية جماعة غير ناضجة فكريًا. ويرصد البحث انهيار الفطحية بعد وفاة عبد الله لعدم وجود خلف أو مشروع متكامل، مقابل صعود مدرسة الإمام الكاظم (عليه السلام) الراسخة. ويعرض نقدًا داخليًا صارمًا من قبل رموز الإمامية كهشام بن الحكم وداود الرقي، الذين دحضوا إمامة عبد الله علميًا وعقائديًا. وفي الختام، يُعيد البحث تصنيف الفطحية لا كفرقة ناضجة بل كظاهرة عابرة نشأت في لحظة فراغ ثم اندثرت بهدوء.

الكلمات المفتاحية: (الفطحية، النشأة، الأندثار).

Fatimiyya: Between Origin and Decline: An Analytical Study of Its Path to Extinction

Assistant Professor Ali Ibrahim Obaid (Al-Basir)
ali76@uomustansiriyah.edu.iq
Assistant Professor Wedad Muhammad Abdullah Hammadi
wedadmhmd@uomustansiriyah.edu.iq
Professor Lama Faiq Ahmed
dr.lumafaik@yahoo.com
Al-Mustansiriya University / College of Arts / Department of History

Abstract

This research delves into the figure of Abdullah ibn Ja'far al-Sadiq, known as "al-Aftah," and his role in the crisis of leadership following the martyrdom of his father, Imam Ja'far al-Sadiq (peace be upon him). It examines the emergence of the "Fathiyyah" sect, which adhered to his leadership based solely on his status as the eldest son, without doctrinal or textual justification. The study highlights that Abdullah lacked significant scholarly or leadership presence, leading to the swift decline of his faction. Additionally, it discusses the implications of his nickname "al-Aftah" and its influence on shaping the identity of an intellectually immature group. The research also traces the dissolution of the Fathiyyah after Abdullah's death, due to the absence of a successor or a cohesive project, in contrast to the establishment of Imam Musa al-Kadhim's (peace be upon him) enduring school. Furthermore, it presents a rigorous internal critique from prominent figures within the Imami community, such as Hisham ibn al-Hakam and Dawood al-Raqi, who refuted Abdullah's claim to leadership both intellectually and doctrinally. In conclusion, the study reclassifies the Fathiyyah not as a mature sect but as a transient phenomenon that arose during a period of uncertainty and faded quietly thereafter.

Keywords: (Al-Fathiyyah, Emergence, Decline)

المقدمة

يمثّل موضوع الإمامة في الفكر الإسلامي عموماً، وفي التراث الإمامي خصوصًا، أحد أكثر المفاهيم تعقيدًا وحساسية، إذ ارتبط منذ بداياته بمفاهيم النص الإلهي، والعلم اللدني، والعصمة، وشرعية القيادة الروحية والسياسية. وفي هذا السياق، شكّلت شخصية عبد الله بن جعفر الصادق المعروفة بـ"الأفطح" حلقة مفصلية في مسار الجدل الإمامي بعد وفاة والده الإمام جعفر الصادق (عليه

السلام)، حيث تفرعت الآراء، وتولّدت نزاعات داخلية، كان لها أثر بالغ في بنية المذهب وتطوره التاريخي والعقدي.

تنبع أهمية هذا البحث من كونه يتناول شخصية ومرحلة كثيرًا ما أُهملت أو عُولجت باقتضاب في المدونات الكلامية والرجالية، رغم أن لحظة بروز عبد الله الأفطح وما تلاها من ظهور "الفطحية" تمثل اختبارًا مبكرًا لنظرية الإمامة ذاتها، وقدرة المؤسسة الإمامية على غربلة الانحرافات الفكرية، وإعادة ضبط معايير الإمامة بين النص والظاهر.

أما هدف البحث فهو تحليل شخصية عبد الله الأفطح في ضوء المعطيات التاريخية والروائية، وبيان أبعاد دعواه في الإمامة، وتفكيك البنية الفكرية للفرقة المنسوبة إليه، ثم تقويمها ضمن معايير الفكر الإمامي. كما يسعى البحث إلى فهم العوامل التي أدت إلى نشوء هذه الظاهرة ثم اندثارها، وما إذا كانت الفطحية فرقة حقيقية أم مجرّد تيار عارض ولد في لحظة ارتباك ثم خمد سريعًا.

وتكمن إشكالية البحث في سؤال محوري: هل كانت دعوى عبد الله الأفطح امتدادًا لفهم عقدي معتبر داخل الفكر الإمامي، أم أنها مجرد نتاج تقاليد عرفية واجتماعية كـ"الأكبر فالأكبر"، افتقرت إلى الأساس العقائدي؟ وهل يمكن توصيف الفطحية كفرقة بالمعنى المصطلحي، أم أنها ظاهرة هامشية عابرة لا ترقى إلى مستوى التكوين المذهبي؟

ينقسم البحث إلى عدة مباحث رئيسة جاء الاول بعنوان

(شخصية عبد الله بن جعفر الصادق (عليه السلام) – واثارها على الوضع السياسي)

تناولنا فيه شخصية عبد الله بن جعفر الصادق (عليه السلام) من حيث نسبه، موقعه بين إخوته، وأثره السياسي المحدود بعد وفاة الإمام الصادق (ع).

اما المبحث الثاني: **ملامح الفرقة الفطحية ومسارها بعد وفاة عبد الله الأفطح**

استعرضنا فيه نشأة الفرقة الفطحية، وملامحها العامة، ومسارها بعد وفاة عبد الله، وانحسار حضورها المؤسسي والعقدي.

وتناول المبحث الثالث: **النقد الداخلي للفطحية في مصادر الإمامية**

عرض أبرز أشكال النقد الداخلي الذي وُجّه للفطحية من داخل المدرسة الإمامية، خصوصًا من كبار أصحاب الإمام الصادق (ع).

وناقشنا المبحث الرابع: **هل كانت الفطحية فرقة؟ محاولة لإعادة التصنيف**

مدى صحة تصنيف الفطحية كفرقة مستقلة، وطرحنا بديلاً تحليليًا لتوصيفها كظاهرة عابرة أو تيار هشّ النشأة.

اما المبحث الخامس: **العوامل التي أدت إلى اندثار الفطحية**

فقد حللنا فيه الأسباب التي أدّت إلى اندثار هذا الاتجاه مبكرًا، سواء من حيث غياب القيادة، أو تفوّق التيار الكاظمي، أو احتواء الفطحية داخل الخط الإمامي.

ومن خلال هذه الوقفة البحثية، لا نهدف إلى الحسم في قضية مضت وانتهت، بل إلى استجلاء أثرها في تشكيل الوعي الإمامي، وكيف يمكن لمواقف عابرة أن تفتح أبوابًا من التأمل في منهج التمييز بين الحق والباطل، وبين النص والتقليد، في أدق لحظات التاريخ العقدي.

المبحث الأول: شخصية عبد الله بن جعفر الصادق (عليه السلام) واثارها على الوضع السياسي

في أعقاب رحيل الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) (سنة ١٤٨هـ) (الذهبي، ١٤٢٣هـ ، ج١ ، ص٢٧٥) برز اسم عبد الله بن جعفر في ظرف تاريخي بالغ الحساسية، حيث تعددت الرؤى بشأن الإمامة ومصيرها، وبالرغم من قلة ما وصلنا من مرويات حول شخصيته مقارنةً بإخوته، إلا أن مكانته النسبية، وكونه الابن الأكبر، وضعاه موضع ترقّب وتداول بين بعض أتباع الإمام الراحل.

لذا مثّلت شخصية عبد الله بن جعفر في التاريخ الإمامي منعطفًا فكريًا مهمًّا، يُسلّط الضوء على تطوّر التعاطي الشيعي مع مفهومي الوراثة الروحية والقيادة الدينية، كما تعكس طريقة تفاعل محيطه معه ملامح التحولات العميقة التي شهدها الوعي الإمامي في تلك المرحلة.

ومن هنا فإن هذا المبحث لا يسعى إلى إثبات أو نفي، بل إلى قراءةٍ هادئة في معالم شخصيةٍ قد تكون غائبة في تفاصيلها، لكنها حاضرة في آثارها، ولو لبرهة، على امتداد المسار العقائدي والتاريخي للإمامية.

اولاً :ـ نسب عبد الله بن جعفر وموقعه بين إخوته

عبد الله بن الإمام جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب (عليهم السلام) المعروف بـ"عبد الله الأفطح" (الطوسي، ١٤١٧هـ، ص٩٨) ، وبه ارتبط أحد المسالك التي اتخذها بعض الشيعة في تحديد الإمامة بعد وفاة الإمام الصادق، وُلد عبد الله في المدينة المنورة سنة ١٠١ (النوبختي، ١٤٠٤ق ،ص٢١٣)، وامه هي السيدة فاطمة بنت الحسين الاثرم بن الحسن بن علي بن ابي طالب (عليهم السلام) (العمري، ١٤٠٩هـ ، ص٩٩) وهو اكبر اولاد الامام الصادق بحسب اغلب الاراء (ابو نصر البخاري ، ١٤١٣هـ ، ص٣٤)غير ان البعض ذهب الى ان اسماعيل هو الاكبر سناً (الرفاعي، ١٤٣٧هـ،ص٨١) لذا كان مسألة التقدم في السن محل خلاف دفع بعض الأتباع للاعتقاد بأن الإمامة قد آلت إلى عبد الله، باعتبار ما ورد من أن الإمامة لا تكون في أخٍ أصغر إذا كان هناك أخ أكبر، وهو ما تمسّكت به الفطحية لاحقًا كدليل على شرعية موقفها (الخصيبي، ١٤١١هـ ، ص٣٨٥ .).

رغم ذلك، لم يُعرف لعبد الله أثر علمي ظاهر، ولا رُويت عنه أحاديث كثيرة (البخاري ، ١٤١٣هـ، ،ص٣٤)، كما لم ينقل الرواة أن له مواقف واضحة في الجدل الفقهي أو الكلامي، على عكس ما توافر في إخوته، لا سيما الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) الذي توفرت له منابر التعليم والمناقشة (الأشعري ، ١٣٦٠ش ، ص٢٢٥) وهذا التفاوت في الحضور العلمي بين أبناء الإمام جعفر قد يكون سببًا في ضعف التأثير الذي مارسه عبد الله على المستوى الأوسع، حتى وإن آمن بعضهم بإمامته لفترة وجيزة، كما أن بعض المدارس التاريخية ، التي تحفظت غالبًا على تحليل الخلافات الداخلية في البيت العلوي، مرّت على شخصية عبد الله مرورًا عابرًا، دون إبراز لخلفيات موقفه أو حيثيات دعواه (الجوزي ، ١٤١٢هـ، ج١٢ ، ص٢٨٨)

ان موقع عبد الله بين إخوته كان أقرب إلى الحضور النسبي الصامت، فبينما كان موسى الكاظم (عليه السلام) محورًا للعلم والحوار والوصية، وكان إسماعيل قبل وفاته محل أنظار الإمامة، بقي

عبد الله في الظل إلى أن استشهد الإمام الصادق، فكان التقدم بالسن هو ما دفع بعضهم للالتفاف حوله، أكثر من كونه شخصية محورية ذات حضور فكري أو اجتماعي لافت.

وهكذا، فإن عبد الله بن جعفر لم يكن غريبًا عن البيت الإمامي، لكنه لم يكن في طليعة الحضور في حياته، بل صار موضع بحث بعد استشهاد أبيه، حين تحركت الأسئلة أكثر من أن تحركه الوقائع.

ثانيا:ـ لقب الأفطح دلالاته اللغوية و التاريخية وأثره في تشكيل التسمية الفِرَقية

ارتبط لقب "الأفطح" بشخصية عبد الله بن الأمام جعفر الصادق (عليه السلام) ارتباطًا وثيقًا حتى غلب على اسمه، وصار علمًا يُشار به إليه في كتب الفرق والتاريخ. غير أن هذا اللقب لم يكن مجرد نعتٍ جسدي او عائلي، بل تحوّل إلى رمزاً مثّل اتجاهًا فكريًا وعقديًا اتخذه جماعة من الشيعة بعد استشهاد الإمام جعفر (عليه السلام).

١ـ البُعد اللغوي للفظ "الأفطح":

يُطلق لفظ "أفطح" على من كان في رجليه انبساطٌ أو انفتاح (الازهري ، ١٤٢١هـ ، ج٤ ، ص٢٢٧)، أو من كان رأسه عريضًا بين جانبيه (الفراهيدي، ١٤٠٩هـ ، ج٣ ، ص١٧٣) وقد ورد في بعض الروايات أن عبد الله سُمّي بالأفطح لهذا السبب الجسدي، دون أن يكون للقب دلالة عقلية أو رمزية عند إطلاقه أولًا (الجزائري، نعمة الله ، ١٤٢٩هـ، ج٢ ، ص١٥٥)، إلا أن هذا الوصف الجسدي تحوّل لاحقًا إلى علامة فارقة ميزت أتباعه عن غيرهم، فغدت "الفطحية" اصطلاحًا يُطلق على الجماعة التي آمنت بإمامة عبد الله (الاردبيلي، ١٤١٤هـ،ح١١ ، ص٢٧٦)

٢ـــ البعد الرمزي والتاريخي للقب:

لقد درجت الفرق الإسلامية على اتخاذ تسميات مشتقة من الأوصاف الظاهرية أو النسبية لقادتها ومؤسسيها، كما في الزيدية[١] نسبةً إلى زيد بن علي(ت:١٢٢هـ) (ابن خياط ، د.ت ، ص٢٧٨) ،

(١) الزيدية إحدى الفرق الشيعية المعروفة وهم القائلون بإمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، والحسن، والحسينع ليها السلام وكذا زيد بن علي بن الحسين وإمامة كل فاطمي دعا إلى نفسه وهو على ظاهر العدالة ومن أهل العلم والشجاعة وكانت بيعته على تجريد السيف للجهاد، ويعود ظهور الزيديّة الى بدايات القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي بعد أن انشقت من الجسد الشيعي الأم. وتشكّل الزيدية اليوم ما يقرب الـ ٤٥ بالمئة من سكان اليمن. الشامي، فضيلة عبدالامير، تاريخ الفرقة الزيدية بين القرنين الثاني والثالث للهجرة، ١٩٨٤ م، ص١٨.

أو الإسماعيلية [١]إلى إسماعيل بن جعفر (ت:١٩٣هـ) (البغدادي، ١٤١٥هـ ، ص٢٥٤)، أو النُصيرية[٢] إلى محمد بن نصير(ت:٢٧٠هـ) (الأشعري ، ١٣٦٠ش ، ص٢٢٥) غير أن التسمية بـ"الفطحية" تنطوي على عنصر فريد ومغاير، إذ تعود في أصلها لا إلى طرح عقدي محدد، بل إلى وصف جسدي أُطلق على عبد الله بن جعفر الصادق ، كما اسلفنا، فغلب عليه اللقب وصار شعاراً لأتباعه ، وهذه الخصوصية في منشأ التسمية تعكس طابعًا استثنائيًا؛ فبدلًا من أن تُبنى على مدرسة فكرية ، ارتبط الاسم بعلامة جسدية لا تحمل مضمونًا عقديًا، ثم أُسقط على تيار محدود لم يلبث أن انحسر. وقد ظلّ الأثر العلمي والسياسي لعبد الله – الذي نُسبت إليه الفطحية – محدودًا وخافتًا، إذ لم يُعرف له إنتاج علمي، ولا رُويت عنه مواقف ذات حضور في الجدل الكلامي أو الفقهي، الأمر الذي جعل التسمية في جوهرها محمّلة بدلالة المباينة والرفض، لا بوصفها امتدادًا لتيار إمامي متكامل، بل بوصفها متعلقة بإحدى أبرز صفاته الجسدية التي طغت على حضوره العلمي والسياسي المحدود، ويعود أول استعمال موثّق للفظ "الفطحية" إلى أواخر القرن الثاني الهجري (القاضي النعمان المغربي ، د.ت، ج٣ ، ص٢١٠)، ، حيث وُصف به أولئك الذين توقّفوا على إمامة عبد الله بعد استشهاد أبيه، ورفضوا الانتقال إلى إمامة الإمام موسى الكاظم (عليه السلام).

٣.– حضور اللقب في المصادر:

اللقب "الأفطح" ورد في عدد من كتب الفرق والرجال حيث تم استخدام المصطلح لتحديد الفرقة التي وقفت عند عبد الله بن جعفر، واعتبرت إمامته شرعية بعد استشهاد أبيه (النوبختي، ١٤٠٤ق ،ص٢١٣) ، لكن هذه المصادر تشير كذلك إلى أن عبد الله لم يعش طويلًا بعد والده، الأمر الذي أثار إشكالات لدى أتباعه، إذ لم يترك عقبًا يُواصلون الإمامة من بعده، (ابو نصر البخاري ،

---

(١)إحدى فرق الشيعة وثاني أكبرها بعد الاثني عشرية، وهي من الفرق الباطنية، يشترك الإسماعيلية مع الاثنا عشرية في مفهوم الإمامة، إلا أن الانشقاق وقع بينهم وبين باقي الشيعة بعد موت الإمام السادس جعفر الصادق، إذ رأى فريق من جمهور الشيعة أن الإمامة في ابنه الأكبر الذي أوصى له إسماعيل

(٢) الفرقة النصيرية، فرقة بائدة نشأت بعد استشهاد الإمام الهادي عليه السلام وتعتبر من غلاة الشيعة أو من الباطنية حسب ماذكرت المصادر التاريخية، تنتهج تأليه أئمة أهل البيت (عليها السلام) في اعتقادها، وقد ظهرت الكثير من الأقوال في نسبتها. وقد يدعون بالعلويين ، ترجع هذه الفرقة الى محمد بن نصير، ينظر: الدندشي، جعفر، مدخل إلى المذهب العلوي النصيري، ، دائرة المكتبة الوطنية، ط ٢،(بيروت ـ ٢٠٠٠ م)، ص١٢١

١٤١٣هـ ، ص٣٤) ما جعل عددًا من "الفطحية" يعود إلى القول بإمامة الأمام موسى بن جعفر الكاظم لاحقًا (النوبختي، ١٤٠٤ق ،ص٢١٣)

٤ – أثر التسمية في نشوء النزاع الداخلي

لقد ساهم لقب "الأفطح" في إبراز الفارق بين اتجاهين داخل المدرسة الإمامية: الأول يمثله استمرار الإمامة في سلسلة معروفة من أبناء الإمام عبر نصٍّ وتعيين واضحين، والثاني وقف عند عبد الله بن جعفر، باعتباره الابن الأكبر للإمام الصادق عليه السلام، تطبيقًا لقاعدة "الأكبر فالأكبر" (الطبري ، ١٤١٣هـ ، ص٤١٦ .) التي استند إليها بعض الشيعة في تلك المرحلة الحرجة. لم يكن هذا التباين مجرّد مسألة لقب أو اختلاف ظاهري، بل تحوّل إلى عنوانٍ لانقسام مؤسسي – وإن كان مؤقتًا – داخل البنية الفكرية والعقائدية للتشيع الإمامي.

لقد مثّل لقب "الأفطح" لحظة جدلية في التاريخ الإمامي، حيث التبس فيها الفهم بين النص الباطني الذي يُشترط في الإمام أن يكون أعلم وأتقى وأقرب إلى العصمة، وبين الاعتبارات الظاهرية التي ارتكزت على السن أو الشكل أو التسلسل العائلي. وهنا ظهر دور النخبة الشيعية – من أهل الفهم والكلام – في غربلة الادعاءات، وتمييز الإمام الحق، ليس باللقب أو الظاهر، بل بالعلم والقدرة على الجواب.

ويُعدّ ما رُوي عن هشام بن الحكم[١] من أوضح الشواهد على ذلك؛ فقد نقلت المصادر أنه لما توفي الإمام الصادق عليه السلام، سارع هشام – المعروف بعقله الحاد ومنطقه القوي – إلى السؤال عن الإمام بعده، فأُشير عليه بعبد الله الأفطح. لكن هذه التسمية أثارت في نفسه شكًّا، لعلمه أن الإمام الحق لا يكون مبتلى بعاهةٍ ظاهرة، وأن الإمامة لا تُمنح لمن يفتقر إلى صفات الكمال الظاهري والباطني، فلما قصد عبد الله وسأله عن مسائل عقائدية دقيقة، لم يُجب عبد الله عنها، وظهر عليه

(١) أبو محمد هشام بن الحكم ، مولى بني شيبان ، كوفي الأصل، انتقل إلى بغداد ، توفي بعد نكبة البرامكة، وقيل في عهد المأمون ، من أعلام الشيعة في القرن الثاني الهجري، ومن رواة الحديث ومتكلمي الشيعة، وهو من أصحاب جعفر الصادق وموسى الكاظم وقد روى عنهما أحاديث ، ابن شهر آشوب، محمد بن علي، معالم العلماء، النجف، المطبعة الحيدرية، ط ٢، ١٣٨٠ هـ- ١٩٦١ م، ج٢ ، ص١٢٣ ؛ بن نعمة، عبد الله، هشام بن الحكم رائد الحركة الكلامية، بيروت، دار الفكر اللبناني، ط ٢، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م، ص١٦٥ .

الارتباك، فعلم هشام أن هذا ليس الإمام المنصوص عليه. ثم توجه إلى موسى بن جعفر عليه السلام، فوجد عنده الجواب الكافي والبرهان الشافي، فتيقن من إمامته، وآمن به (بابويه، ١٤٠٤هـ ، ص٧٢).

ومع أن هشام كان من خواص أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، وممن يحتمل أنه اطّلع منه على إشارات أو نصوص بشأن الإمام من بعده، فإن سؤاله لم يكن بالضرورة بدافع الجهل، بل قد يكون نوعًا من إقامة الحجة عبر التجربة العيانية، وتثبيت الحقيقة من خلال البرهان العملي والاختبار المباشر، حتى لا تبقى المسألة رهينة النقل وحده، بل تقترن بالدليل المحسوس، وهكذا يتضح أن التسمية – في حد ذاتها – كانت مثار خلاف وتأمل، لا قاعدة يقينية، وأن أزمة الإمامة بعد الصادق عليه السلام مثّلت نقطة اختبار دقيقة في نضوج المفاهيم الإمامية، لا سيما في التمييز بين من يحمل الاسم ومن يحمل العلم.

وهنا يُطرح في هذا السياق سؤال مهم: هل كان عبد الله الأفطح مرشحًا حقيقيًا للإمامة؟ وهل عبّر عن رغبة ذاتية فيها؟ أم أن الظروف دفعته إلى واجهة لم يسعَ هو أصلًا لاحتلالها؟

ثالثاً:ـ عبد الله الأفطح بين الطموح الشخصي والضغوط الاجتماعية: موقفه من الإمامة في ضوء النص والواقع

عند استشهاد الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)، وجد المشهد الشيعي نفسه أمام حالة مربكة، لم يكن الانقسام فيها وليد خلاف فقهي أو عقدي بمقدار ما كان نتاجًا لمجموعة من العوامل النفسية والاجتماعية والسياسية التي أحاطت بالشخصيات القريبة من الإمام، وأبرزهم ابنه عبد الله المعروف بالأفطح.

١ – موقف عبد الله من الإمامة بين الطموح والتلقي:

لا توجد روايات صريحة تؤكد أن عبد الله بن جعفر أعلن سعيه الشخصي للإمامة، أو أنه ناظر خصومه من أهل بيته للدفاع عن حقه فيها. بل يبدو أن ترشيحه للإمامة جاء بناءً على تقليد عرفي داخل المجتمع، مفاده أن "الإمام لا يكون إلا الأكبر من ولد الإمام" (الأشعري ، ١٣٦٠ش ،

ص٢٢٥)، وهو ما تمسكت به الفطحية، لا بناءً على نصٍ واضح، بل تأويلاً عامًا لمعنى البكورية. الهاشمي، ابن حبيب ، محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو، المحبر، دار الافاق (بيروت ـ د.ن)

٢ – الروايات حول وصية الإمام الصادق (ع):

بحسب بعض المصادر، فإن الإمام الصادق أوصى إلى خمسة أشخاص، وهم: المنصور العباسي(ت:١٥٨هـ) (الهاشمي، د.ت ، ص٣٦)، ومحمد بن سليمان والي المدينة[١]، وعبد الله ابنه، وموسى ابنه، وحميدة[٢] أم موسى (الكليني، د.ت ، ج٢ ، ص٢٠٣). وهذا التعدد في الموصى إليهم لا يُفسَّر على أنه دليلٌ على الشك في الإمامة، بل يُفهم على أنه محاولة لتفويت الفرصة على السلطة العباسية كي لا تتعقب الإمام الحقيقي. من هنا، فإن وجود اسم عبد الله ضمن هؤلاء لا يُعدّ دليلاً قاطعًا على أنه هو المُعيَّن، بل ربما كان غطاءً ضمنيًّا لدرء الخطر عن الإمام الكاظم (عليه السلام)، وفي نفس الوقت صار حجة للفطحية في اتباع عبد الله والاقرار بأمامته .

إن هذا الشكل من الوصية المركبة يُعبّر عن حنكة تدبيرية عالية في مواجهة واقع سياسي معقّد كانت فيه السلطة العباسية تترصّد أي انتقال للإمامة. فإشراك شخصيات رسمية مثل المنصور ومحمد بن سليمان في الوصية يُضعف من احتمال إثارة الشبهات حول الإمام موسى الكاظم (عليه السلام)، ويُعطي انطباعًا للسلطة بأن تركة الإمام الصادق – سواء الدينية أو المالية – لا تؤول إلى جهة مناوئة للحكم. كما أن وجود عبد الله في قائمة الموصى إليهم، رغم عدم كفاءته للإمامة، يمكن

---

(١) محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس هو قائد عباسي، ووالي المدينة في عهد المنصور ولد محمد سنة ١٢٢ هـ بالحميمة من أرض الشام، كان محمد ابن عم أول خليفتين عباسيين: أبو العباس السفاح وأبو جعفر المنصور. كان والده سليمان بن علي الهاشمي واليًا على البصرة لفترة طويلة، تولى المدينة سنة ١٤٥هـ ، . ينظر: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (المتوفى: ٧٤٨هـ)، العبر في خبر من غبر، تح : أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية ، (بيروت ـ د.ت) ج١ ، ص١٢٥ .

(٢)حُمَيدَة المشهورة بحميدة المُصَفّاة، حميدة البَربَريّة، من مواليد ١٠٠ هجري وتوفيت عام ١٦٥ هجري هي زوجة جعفر الصادق وأم موسى الكاظم، وكانت جارية اشتراها محمد الباقر لكي يزوجها لولده الصادق. كان لها من الأولاد: الكاظم وإسحاق وفاطمة. يقع قبرها في مشربة أم إبراهيم الواقعة في منطقة العوالي شرقي مقبرة البقيع، ويوجد في جوارها قبر نجمة أم علي الرضا. ينظر: الطبرسي ، (ت:٥٤٨هـ) ، اعلام الورى بأعلام الهدى ، ط١ ، مؤسسة ال البيت لأحياء التراث، (قم ـ ١٤١٧هـ) ،ج٢ ، ص٦

تفسيره بأنه واجهة مأمونة تتجه إليها الأنظار تلقائيًا، وفق منطق "الأكبر فالأكبر"، في حين يبقى الإمام الحقيقي محفوظًا في الخفاء حتى يتهيأ الظرف لإعلان إمامته بوضوح.

وهذا النمط من التخفي ليس جديدًا في سيرة الأئمة، بل هو من الأساليب المتكررة التي لجأ إليها أئمة أهل البيت في فترات الضغط الأمني، حيث تتقدم التقية السياسية والتمويه الإداري على التصريح العلني، حفاظًا على حياة الإمام وامتداد خط الإمامة. لذا فإن هذه الوصية لا تُقرأ في ضوء معيار الثبوت العقائدي فحسب، بل في إطار قراءة تاريخية استراتيجية لواقع مضطرب، كان يستلزم توازنًا دقيقًا بين الإعلان والكتمان، وبين حفظ الخط الإمامي ودرء الخطر المباشر.

٣ – العامل الاجتماعي والنفسي:

إنّ التفاوت بين عبد الله بن جعفر والإمام موسى الكاظم عليه السلام ترك في نفس أتباع عبد الله نوعًا من التوتر النفسي والاجتماعي، حيث تحرّك في نفوسهم شعور بالغبن أو الإحباط (البحراني، العوالم ، ، ١٤١٣هـ ،ج١ ، ص٣٣٨)، خاصة مع تزايد توجه الأنظار نحو الامام الكاظم (عليه السلام) الذي برز كخليفة شرعي رغم صغر سنّه النسبي، وقد انعكس هذا التوتر في خطاب أتباع عبد الله الذين كانوا يسألونه:

"أيُصبح موسى إمامًا وأنت أكبر منه سنًا وعلماً؟" (الطبري، ١٤١١هـ ، ص٤١٦)

وهو سؤال يعكس تمسك هؤلاء بالمعيار التقليدي المتمثل في "الأكبر فالأكبر"، ورغبتهم في تثبيت نموذج الإمامة الوراثية القائمة على السن والقرابة الظاهرة، لا على النصوص الشرعية أو التفوّق العلمي.

إنّ هذا الموقف من عبد الله وأتباعه لا يمكن فهمه بمعزل عن الأبعاد النفسية والاجتماعية التي كانت تلعب دورًا جوهريًا في ذلك الظرف الحساس، حيث كان النزاع ليس مجرد خلاف عقائدي فحسب، بل صراعًا على الهوية والزعامة ضمن مجتمع يمر بتحولات سياسية واجتماعية معقدة.

٤ – التدافع السياسي والفراغ المؤسسي:

بعد استشهاد الإمام الصادق، كان هناك فراغٌ قياديٌّ مؤقت في الوسط الشيعي، استغله البعض لتثبيت زعامات بديلة أو وقتية. ومن هذا الباب، يمكن فهم التفاف جماعة من الناس حول عبد الله، ليس

بوصفه إمامًا بمعايير الإمامة المعروفة، بل بوصفه "مرشح مرحلة"، يعوّل عليه كجسر لعبور مرحلة عدم اليقين.

لقد مثّل عبد الله في هذا السياق نقطة ارتكاز مؤقتة، تمنح اتباعه نوعًا من الاستقرار الظاهري، وتخفف من حدة الصراع الداخلي بينهم (المجلسي، ١٤٠٣هـ ، ج٤٨، ص٦٧)، حتى تتضح معالم الإمامة الحقيقية. غير أن هذا الدعم كان هشًّا ومحدود الأثر، إذ لم يتمكن من حشد إجماع على شرعيته، لعدم استيفائه شروط الإمامة العقدية والعلمية (البصري، ١٤٢٢هـ ، ص٧٠)، وهو ما مكّن الإمام موسى الكاظم(عليه السلام) من التقدم بثبات نحو تولي القيادة الشرعية لاحقًا.

٥- غياب الردّ العقدي القوي من عبد الله:

لم تُنقل عن عبد الله الأفطح مواقف فكرية أو مناظرات عقائدية تُظهر امتلاكه مشروعًا إماميًا واضحًا، أو دفاعًا معرفيًا عن دعواه، على خلاف ما نُقل عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام من تصدٍّ علمي وجدل عقدي أثبت به أحقية إمامته. وقد أشار الشيخ الكليني إلى هذا المعنى بقوله:

"لم يُروَ عن عبد الله أنه خرج أو ناظر أو جادل في مسألة من مسائل الإمامة، ولم يُعرف له موقف واضح يُثبت دعواه" (د.ت ، ج٢ ، ص٢٠٣)

هذا الغياب شبه التام للخطاب العقدي من طرف عبد الله، عكس محدودية دوره، وأضعف مصداقية التيار الذي اتّبعَه، مما سرّع بانحساره أمام ثبات الإمام الكاظم وقوة منطقه ووضوح مساره الشرعي.

رابعاً: الإمامة بعد استشهاد الإمام الصادق (عليه السلام) وموقع عبد الله الأفطح في الأزمة

مثّل استشهاد الإمام الصادق (عليه السلام) سنة ١٤٨هـ لحظة اضطراب داخلي في التيار الإمامي، انفتحت فيها التأويلات وتعددت القراءات حول من يستحق الإمامة من بعده. وفي هذا السياق، ظهر عبد الله الأفطح كخيار مؤقت لدى بعض الأتباع، بفعل الغموض الذي أحاط بالوصية، والفراغ القيادي الذي استدعى مناخًا من الترقب والتمسك بالخيارات الظاهرية.

ورغم تشكل ما عُرف لاحقًا بـ"الفطحية" حوله، فإن الظاهرة لم تتجاوز كونها استجابة ظرفية لأزمة مرحلية، سرعان ما فقدت زخمها لغياب الأساس العقدي والتنظيمي المتماسك ويؤكد الشيخ المفيد هذا المعنى بقوله:

"لم يُرَ لعبد الله رواية عن أبيه، ولا علِم له قولٌ يُعوَّل عليه، ولا أثَرٌ في الفقه يُرجَع إليه" (الإرشاد، ج٢، ص٢٤١)،

في إشارة إلى فراغه المعرفي وعدم تبلور شخصية قيادية عقائدية خلف دعواه ويبدو أن موقع عبد الله في تلك المرحلة كان نتاجًا لتقاطعات معقدة من الالتباس الفقهي، والضغط الاجتماعي، والتوظيف السياسي، أكثر من كونه تمثيلًا لخط إمامي أصيل.

ومن هنا، فإن قراءة موقف عبد الله لا تكتمل إلا ضمن إطار الأزمة الأشمل التي عصفت بمفهوم الإمامة آنذاك، حيث شكّلت تجربته مثالًا واضحًا على هشاشة الخيارات غير المؤصّلة، مقابل صعود الإمامة الشرعية في شخص الإمام الكاظم (عليه السلام) بوصفه الامتداد الطبيعي للنص، والعلم، والقيادة الهادئة الواثقة.

المبحث الثاني : ملامح الفرقة الفطحية ومسارها بعد وفاة عبد الله الأفطح

لم تكن الفطحية، في بنيتها العقدية وتاريخها، فرقة نابعة من اجتهاد فكري عميق أو مشروع مذهبي متكامل، بل نشأت على وقع لحظة اضطراب بعد أستشهاد الإمام الصادق (عليه السلام)، وتبلورت حول شخصية عبد الله الأفطح بوصفه مرشحًا للأمامة كونه الابن الاكبر، غير أن هذا الارتباط الشخصي – أي التبعية لشخص عبد الله لا لفكر عقائدي مستقل – شكّل نقطة ضعف مركزية في كيان الفطحية، إذ افتقرت إلى التأسيس العقدي المستقل القادر على الاستمرار بعد زوال الشخصية المحورية، ومع وفاة عبد الله (ت:١٤٨هـ) (العلامة الحلي، ١٤١١هـ ، ص٢٩٨) ، وجدت الفرقة نفسها أمام أزمة وجودية كشفت هشاشتها، ودفع بعض أتباعها إلى البحث عن تأويلات مستجدة أو العودة إلى المسار الإمامي العام.

١. الانهيار المبكر وتبدد المرجعية

عند رحيل عبد الله الأفطح لم يوَرِّث خلفاء لعقيدته، ولم يترك وصيّة تُبيِّن خليفته، بل أكّد معظم المؤرخين، أنه لم يترك ذرّية (فخر الدين الرازي ، ١٤٠٩ هـ،ص٧٦) هذا الفراغ العقائدي فتح الباب أمام جملة من التساؤلات داخل جماعته، إذ بُنيت فرقته على شخصه فقط، وليس على رؤية متماسكة أو مدرسة فكرية متماسكة. وهكذا، انهار الكيان بسرعة، إذ كانت الفرقة أشبه بفرقة "شخصية"، وليست تيارًا إيديولوجيًا راسخًا.

وقد نقل بعضهم أن عبد الله الأفطح نصَّ على إمامة أخيه علي بن جعفر العريضي[١] بعد وفاته (الغطاء، ١٤١٥هـ، ص٢١٧) لكن علي بن جعفر ، رفض هذا الأمر تمامًا، وبيّن أنه لم يطالب قط بأي إمامة. وعندما سأله بعض المتبعين عن الامام:"اخي موسى إمام زماني، وإمام زمانكم" (البحراني، العوالم ، ، ١٤١٣هـ ،ج١ ، ص٣٣٨)وعاش علي بن جعفر على مقربة من خمسة من أئمة الهُدى، ملازمًا لهم، شغوفًا بطلب العلم ونقل الروايات، محافظًا على هدى أهل البيت، وليس على شدائد السلطة. كان من أبرز رواة أخيه موسى الكاظم عليه السلام، موثوقًا عند أهل العلم، بعيدًا عن النزاعات والادعاءات حول الإمامة.

2. محاولة إعادة إنتاج الفطحية عبر مفاهيم جديدة

حين واجه بعض اتباع عبد الله غياب الإمام البديل، حاولوا تأويل الوقائع لتبرير استمرار الإمامة في عبد الله عبر مفاهيم مثل "الغيبة" حيث قال بعض الاتباع :" "إن عبد الله لم يمت، ولكنه غاب، وهو القائم المهدي، وسيظهر ويملأ الأرض قسطًا وعدلًا." (الطوسي، ١٤١١هـ ، ص٨٤) وهذا النص يُظهر بوضوح كيف حاول أتباع عبد الله تفسير غيابه المفاجئ، وغياب الخلف من بعده، من خلال تأويل مستند إلى فكرة الغيبة، وهي المفهوم الذي تبنّته لاحقًا بعض الاتجاهات الشيعية، لكنّه في

(١)علي بن جعفر الصادق، المشهور بعلي العُرَيضي هو الابن الأصغر للإمام الصادق عليه السلام، وعاصر عدداً من أئمة أهل البيت بدءاً من أبيه وصولاً إلى الإمام الهادي عليها السلام، فروى عنهم الحديث، كانت كنيته ابا الحسن كما لُقّب بالحسيني والهاشمي إلا أن أشهر ألقابه العُرَيضي نسبة إلى قرية عريض بالقرب من المدينة والتي كانت من عقار الإمام الباقرعليه السلام فانتقل بعده إلى الإمام الصادق عليه السلام وأوصى هو به لعلي بن جعفر . يمظر الطوسي ، رجال الطوسي ، ج٢ ، ص١٢٣ .

السياق الفطحي جاء كحلّ اضطراري لأزمة الزعامة، وايضاً ذُكر أن فريقًا اخر من الفطحية قالوا: برجعة عبد الله، وأنه سيعود في آخر الزمان ليقيم الحق." (النوبختي، ١٤٠٤ق ،ص٢١٣) ، ومنهم من قال انه جعل الامام موسى الكاظم وكيلاً عنه وهذا ما دفع بعض الاتباع للالتحاق بإلامام موسى الكاظم عليه السلام (الطبري، ١٤١١هـ ، ص٤١٦)، بعد أن فقدوا المبررات العقدية للاستقلال.

هذه التحولات توضح أن الانتماء الفطحي لم يكن قائمًا على اقتناع عقدي راسخ، بل نتيجة لفراغات تاريخية وردود فعل ظرفية.

3. التلاشي العقائدي وتحوّل بعض أتباعها إلى وسائط تاريخية

رغم تلاشي الفرقة كمذهب، بقي لبعض رجالها حضور في النقل الروائي (الثقفي، د.ت ، ج١ ، ص١٠٣ .)، بل وبرزت بعض الأسماء الفطحية في روايات الإمام الكاظم نفسه، كما في حالة علي بن أبي حمزة البطائني[١] في بداياته، إذ كان من كبار الرواة عن الإمام الصادق، ثم ارتبط بالفطحية بعد وفاة عبد الله. وقد ورد في رجال الطوسي عن الإمام الكاظم (عليه السلام) قوله:"ما رأيت أحدًا أبلغ فيما يريد من علي بن أبي حمزة"وهو ما يشير إلى مكانته في النقل، رغم انحرافه العقدي لاحقًا (١٤٠٤هـ ، ج١ ، ص١٠٨).

وبمرور الزمن، جرى تجاوز الفطحية كمكوّن مذهبي، وأصبحت أقرب إلى صفحة عابرة في تطور نظرية الإمامة الشيعية، إذ إن معظم رواة هذا الاتجاه إما تابوا والتزموا الخط الإمامي لاحقًا، أو جرى تمييز رواياتهم بعناية في علم الرجال. كما أن المدارس الإمامية تجاوزت تلك المرحلة من التردد في المفاهيم، وركزت على تأصيل نظرية الإمامة بالنص والعلم والعصمة، لا بالسن أو الاعتبارات الشخصية، ما جعل التيار الفطحي أشبه بـ"اختبار تاريخي" لعقيدة الإمامة، سرعان ما تجاوزه الوعي العقدي العام للطائفة.

4. القيمة التاريخية للفرقة الفطحية

---

(١)عليّ بن أبي حمزة - واسم أبي حمزة سالم - البطائني أبو الحسن مولى الأنصار، كوفي، وكان قائد أبي بصير يحيى بن القاسم وله أخ يسمّى جعفر بن أبي حمزة، روى عن أبي الحسن موسى عليه السلام وروى عن أبي عبد الله عليه السلام ثمّ وقف. وهو أحد عُمُد الواقفة.ينظر: الطوسي ، الرجال ، ج١ ، ص١٠٨ .

يُجمع الباحثون اليوم على أن أهمية الفطحية لا تكمن في محتواها العقدي، بل في ما أظهرته من توترات داخل بيت الإمامة بعد استشهاد الإمام الصادق عليه السلام (البحراني، العوالم، ١٤١٣هـ ، ج١ ، ص٢٤). لقد كشفت عن أن الانتقال بين الأئمة لم يكن دائماً سلساً، بل تخللته اضطرابات وقراءات متباينة للوصية الشرعية، ما يضفي على الفرقة الفطحية طابعاً تاريخياً أكثر من كونه عقدياً.

٥. من الفرقة إلى الظاهرة: نحو توصيف أدق

بالنظر إلى قصر عمرها، وتبعية أتباعها لشخص عبد الله، وانهيارها المبكر، فإن توصيف "الفرقة" قد يكون أوسع مما تحتمله ظاهرتها، بل إن تعبير "الظاهرة الفطحية" أو "الموقف الفطحي" يبدو أكثر دقة. كونها لحظة عاطفية–اجتماعية لا تياراً فكرياً ناضجاً، تجلت في لحظة ارتباك، ثم خمدت بهدوء.

إن مصير الفطحية يثبت أن الشرعية في المذهب الإمامي لم تكن متروكة للتقاليد أو الوراثة الشكلية، بل محكومة بمعايير علمية وروحية دقيقة، وإن التجارب التي انبثقت من التباس اللحظة لم تصمد طويلاً. وبهذا فإن الفرقة الفطحية كانت جزءًا من التجريب التاريخي في مخاض انتقال الإمامة، لا تيارًا له أفق.

المبحث الثالث: النقد الداخلي للفطحية في مصادر الإمامية

لم تكن دعوى إمامة عبد الله بن الإمام الصادق (عليه السلام) وتشكُّل الفطحية من حوله محط جدل خارجي فقط، بل واجهت منذ لحظاتها الأولى نقدًا داخليًا صارمًا من أعلام المدرسة الإمامية، ولا سيّما من كبار تلامذة الإمام الصادق عليه السلام الذين حملوا تراثه ونقلوا وصاياه في شأن الإمامة بعده. فقد مثّل هذا التيار بحسب أعلام ومصادر الإمامية انحرافًا عن المسار الصحيح للإمامة، الأمر الذي استدعى مواجهة فكرية وعقائدية متينة، ومن بين أهم أولئك:

١ـ موقع هشام بن الحكم في مقاومة دعوى الفطحية

يُعد هشام بن الحكم من أذكى وأقوى المتكلمين الشيعة، وقد عُرف بمناظراته الحادة ودفاعه العقلي عن الإمامة، لا سيما في المرحلة المفصلية بعد استشهاد الإمام الصادق (عليه السلام) (شاذان، ١٣٦٣هـ ، ص١٧)، فقد وقف موقفًا حازمًا تجاه دعوى عبد الله الأفطح للإمامة، واعتبر أن انتقال الإمامة يجب أن يكون مستندًا إلى علم خاص، وعصمة، ونصّ صريح، وهي الشروط التي لم تتوافر في عبد الله، بل ظهرت عليه مظاهر الضعف والخواء العلمي، كما بين ذلك هشام :"دخلت على عبد الله بعد وفاة أبي عبد الله (عليه السلام)، فسألته مسائل فلم يجبني، فخرجت من عنده وقد مات في قلبي" (الكليني، د.ت ، ج٢ ، ص٢٠٣) وعن هشام بن الحكم قوله:لو كانت الإمامة بالسنّ، لكان العباس أولى من علي بن أبي طالب" (الطوسي ، ١٤٠٤هـ ، ج١ ، ص١٠٨)، في إشارة منه إلى دحض دعوى عبد الله التي اعتمدت على كونه أكبر أولاد الصادق سناً.

٢ـ داود بن كثير الرقي ورفضه الواضح للفطحية

من الأسماء التي برزت في رفض الدعوى الفطحية هو داود بن كثير الرقي[١]، أحد أصحاب الإمام الصادق والموثق في اغلب كتب الرجال، وقد كان حاضرًا في قلب الأجواء المحتدمة التي تلت استشهاد الإمام الصادق عليه السلام، وتلقّى منه توجيهات صريحة وتعاليم جليّة بشأن الإمام الذي يليه، وهو موسى بن جعفر عليهما السلام، اذ روى عنه قوله الواضح والحاسم: «الأمر في ولدي موسى، وهو الصادق المأمون" (الطوسي ، ١٤٠٤هـ ، ج١ ، ص١٠٨)، في تأكيد لا يقبل اللبس على أن الإمامة قد آلت إلى ولده موسى، بأمرٍ بيّن لا مجال للطعن فيه.

هذا النص وإن ورد في طرق وصيغ متعددة كان يُتداول في أوساط الخاصة كدليل على نص الإمام الصادق، وقد اعتبر داود بن كثير ومن سار على دربه أن دعوى عبد الله باطلة، لأنها تخالف النصّ وتفتقر إلى الكفاءة العلمية.

(١) داود بن كثير الرقي: وأبوه كثير يكنى أبا خالد، وهو يكنى أبا سليمان. ثقة. الخوئي ، ابو القاسم الموسوي معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة ، ط٥ ، (د.م ـ ١٤١١هـ) ، ج٨ ، ص١٢٦ .

٣ـ النصوص الروائية في المصادر الحديث الأمامية ودورها في دحض الدعوى

تضمنت كتب الحديث الإمامية روايات عديدة تُضعف إمامة عبد الله بن جعفر، وتنص بوضوح على أنها لم تكن منطبقة عليه.اذ سئل احد اصحاب الامام الصادق عن الامام " عن الإمام من بعده؟ فقال: ابني موسى، والكتاب عنده والسلاح..." (الكليني، د.ت ، ج٢ ، ص٢٠٣) هذه الرواية تعطي معيارًا مادياً ومعنوياً لثبوت الإمامة، يتمثل في انتقال السلاح والكتاب، وهو ما لم يكن عند عبد الله، مما ينفي أي شرعية لإمامته.

وفي رواية اخرى قَالَ دَعَا أَبُو عَبْدِ اللَّه (ع) أَبَا الْحَسَنِ (ع) يَوْماً ونَحْنُ عِنْدَه فَقَالَ لَنَا: عَلَيْكُمْ بِهَذَا فَهُوَ واللَّه صَاحِبُكُمْ بَعْدِي" (الطبري م.، ١٤١٣هـ ، ص٤١٦ .)

٤ـ الوفاة المبكرة لعبد الله

من الأمور التي استخدمها خصوم الفطحية من الإمامية كدليل على بطلان دعوى عبد الله، وفاته المبكرة بعد الإمام الصادق (ع)، حيث تُجمع المصادر على أنه لم يعش بعد والده إلا سبعين يومًا أو أقل، وهو ما اعتبره الشيعة قرينة على عدم تأييد السماء لدعوته اذ ورد :"وكان عبد الله الأفطح أكبر أولاد الصادق (ع)، إلا أن علمه قليل، وكان عمره قصيرًا، فلم يُعرف له ولد، ولا أُثر له قول في العلم أو الفقه" (الطوسي ، ١٤٠٤هـ ، ج١ ، ص١٠٨)

وهذه الصفة تُسقط شرائط الإمامة: من العلم، والاستمرار، ووراثة الكتاب والسلاح، والذرية، وهو ما استند إليه هشام وسائر العلماء في رفضه.

ان النقد الذي وُجه للفطحية لم يكن شخصيًا فقط، بل مؤسسًا على نظرية الإمامة نفسها. فقد رأى الإمامية أن الإمامة ليست مجرد انتقال طبيعي بين الأب وأكبر الأبناء، بل هي اختيار إلهي مقرون بعلم ووحي ووصية صريحة. لذا فإن هشامًا وداودًا وأمثالهم لم يواجهوا عبد الله لأنه "ليس كفؤًا" فحسب، بل لأن دعواه خالفت أصول المدرسة التي تلقوها عن الصادق نفسه.

إن مراجعة الروايات والمواقف بعد وفاة الإمام الصادق (ع) تكشف بوضوح أن المدرسة الإمامية مارست نقدًا داخليًا متماسكًا ضد الفطحية، واستندت إلى نصوص وقرائن علمية وروحية لإبطال

دعوى عبد الله بن جعفر. ولم يكن هذا النقد طارئًا، بل امتدادًا لخط واضح في فهم الإمامة كعقيدة لا تورّث بمجرد النسب، وإنما تثبت بالنص والمعجزة والعلم. وإن موقف أمثال هشام بن الحكم وداود بن كثير يعدّ نموذجًا للوعي العقدي في تلك المرحلة، ويعكس نضج العقل الإمامي في مواجهة لحظات الفتنة والاضطراب.

المبحث الرابع: هل كانت الفطحية فرقة؟ محاولة لإعادة التصنيف

عند تناول ظاهرة الفطحية، كثيرًا ما تُدرج تحت تصنيف "الفرق الإسلامية"، وتُقابل في كتب المقالات والملل إلى جانب الخوارج، والمرجئة، والمعتزلة، وسواهم. غير أن هذا التصنيف الجاهز يثير أسئلة نقدية عميقة: هل تنطبق معايير "الفرقة" على الفطحية؟ أم أن الأفضل توصيفها بأنها "تيار عابر" أو "ظاهرة فكرية محدودة النطاق"؟

هذا المبحث يحاول تفكيك البنية المفاهيمية لمصطلح "فرقة" في كتب الفرق، ومقارنة ذلك بوضع الفطحية من حيث الواقع الاجتماعي والفقهي والفكري، لإعادة تصنيف الظاهرة بما يناسب طبيعتها الحقيقية.

اولاً : دراسة لغوية ومصطلحية لمفاهيم "الفرقة"، "التيار"، و"الظاهرة"

تُعدّ المصطلحات الثلاثة: الفرقة، التيار، والظاهرة، من الأدوات التحليلية الأساسية في تصنيف الحركات الدينية والفكرية في التاريخ الإسلامي. ولكلٍّ منها دلالة خاصة، تتفاوت في مستوى التبلور والامتداد والعمق العقائدي. ولكي نُحسن توظيفها في تصنيف حالة الفطحية، لا بد من دراسة لغوية ومصطلحية دقيقة، تكشف أبعاد كل مصطلح في سياقه اللغوي والاستعمالي والتاريخي.

١ـ "الفرقة"

لغة: الفعل "فَرَقَ" يدل على الانفصال والانقسام، ومنه: "تفرّق القوم"، أي تشتتوا. وجاء في العين: "الفرقة: الجماعة المفارقة لغيرها في رأي أو طريق". و"الفرقة في الدين: طائفة انفصلت عن جماعة المسلمين بعقيدة مبتدعة أو رأي خاص" (الفراهيدي، ١٤٠٩هـ ، ج٣ ، ص٢١٣)

اصطلاحاً: ذكر كتاب الفرق والمقالات ان مصطلحُ "الفرقة" في التراث الإسلامي لا يُطلَق إلا على تكوين مذهبي قائم بذاته، يتمخّض عن أربعة أسس ثابتة:

كيان فكري مستقل، بنية عقدية متينة، مرجعية دينية معلومة، وأتباع متمسّكين بمذهب خاص.

ومن هذا المنطلق، فإنّ التسمية لا تُطلق إلا على تلك الجماعات التي تُحقّق تلك المعايير(البغدادي، ١٤١٥هـ ، ص٢١٣).

٢ـ "التيار لغة: مشتق من الجذر "جارَ يجري"، ويُطلق مجازًا على الحركة المتدفقة داخل جسم مائي، ثم استُعمل في المعنى المعنوي للدلالة على توجّه فكري سائل غير ثابت. ففي لسان العرب، نجد أن أصل الجذر يدل على "الامتداد والانسياب (منظور، ١٤١٤هـ ،ج١ ، ص١٥١)

اصطلاحا: التيار هو نمط من أنماط التفكير أو التوجه داخل مذهب أكبر، لا يمتلك غالبًا مؤسسات مستقلة، ولا عقائد مفارقة للمذهب الأم، بل يمثّل اختلافًا في الاجتهاد أو الأولويات أو الفهم. ومثال ذلك التيار الأخباري في التشيع الاثني عشري، أو تيار المعتزلة البغداديين مقابل البصريين (المناوي، ١٤١٠هـ ، ج٢ ،)

٣ـ "الظاهرة"

لغة: من الجذر "ظَهَرَ"، أي بانَ بعد خفاء. والظاهر: ما برز للعيان (الفراهيدي، ١٤٠٩هـ ، ج٣ ، ص١٧٣) والمصطلح في حد ذاته لم يكن متداولًا في التراث الإسلامي المبكر كمفهوم علمي، لكنه دخل عبر التأثر بالمناهج الغربية الحديثة (المناوي، ١٤١٠هـ ، ج٢ ، ، صفحة ٢٣)

اصطلاحا: "الظاهرة" في العلوم الاجتماعية والفكرية تُستخدم للدلالة على سلوك جماعي أو نمط فكري ناشئ، لا يرقى إلى مستوى التكوين المذهبي المستقل. وهي عادة مرتبطة بظرف اجتماعي أو سياسي مؤقت، وقد تزول بزوال ظرفها. الظاهرة لا تحتاج إلى تراث عقائدي ولا مؤسسات، بل يكفي أن تكون ردّة فعل جمعية أو توجّهًا عامًا مؤقتًا. (المناوي، ١٤١٠هـ ، ج٢ ، ، صفحة ١٢١)

في ضوء التحليل اللغوي والمفاهيمي السابق، يتبيّن أن استعمال مصطلح "الفرقة" يجب أن يُقاس بمعايير دقيقة، تتعلق بمدى تبلور البنية العقائدية والتنظيمية للكيان محل الدراسة. أما "التيار" فيُناسب

الحالات التي تكون داخل النسق العقدي العام دون خروج عنه، بينما تُعبّر "الظاهرة" عن حراك اجتماعي فكري غير مستقر. وبناءً عليه، يصبح السؤال مشروعًا: هل كانت الفطحية فرقة مذهبية ناضجة بالمعنى المصطلحي، أم تيارًا محدودًا داخل التشيع، أم أنها أقرب إلى "ظاهرة اجتماعية" نشأت بفعل فراغ القيادة المؤقت بعد استشهاد الإمام الصادق عليه السلام، ثم تلاشت بانقضاء ظرفها؟

٢ـ نقد مصطلح "فرقة الفطحية" في كتب الفرق

ذكرت الفطحية صراحة في كتب الفرق، اذ جاء :"الفطحية هم القائلون بإمامة عبد الله بن جعفر الصادق ... ثم تفرّقوا بعد موته وبعضهم رجع إلى إمامة موسى بن جعفر (ع)". لكن لا يذكر لهم منهجًا خاصًا في الفقه أو علم الكلام (النوبختي، ١٤٠٤ق ،ص٢١٣، صفحة ٧٩).

اما الأشعري فقد أدرجهم ضمن الشيعة، مع ملاحظة أن كثيرًا منهم "مالوا إلى الواقفية"، وهو ما يشير إلى انحلالهم السريع (الأشعري ، ١٣٦٠ش ، ص٢٢٥) ، وكذلك البغدادي ": نقل عنهم بإيجاز ولم يذكر شيئًا عن مؤسساتهم أو مدارسهم، بل اكتفى بوصفهم أصحاب دعوى قصيرة الأجل (البغدادي، ١٤١٥هـ ، ص٢٥٤).

وهذا يُبرز أنّ وصف "فرقة" هو غالبًا توصيف شكلي ناتج عن الحاجة إلى التصنيف، لا عن وجود فعلي لمذهب قائم بذاته.

٣ـ غياب الخصائص التكوينية للفرقة في بنية الفطحية

إن تأملنا في المعايير التقليدية لتكوّن الفرق، نلحظ أن الفطحية:

أ. لم تُعرف بكتب أو مصنفات مستقلة تمثل فكرهم، ولم يُنقل عنهم تنظير كلامي أصيل (ظهير، ١٤١٣هـ ،ص٢٢٦)

ب . لم تتبلور لديهم مرجعية فقهية مستقلة، بل استندوا إلى تراث الإمام الصادق (الغطاء، ١٤١٥هـ، ص٢١٧)

ت. لم تظهر مدارس أو مراكز تعليمية خاصة تُعرف بالفطحية، كما حصل مع الزيدية أو الواقفية. (ظهير، ١٤١٣هـ ،ص٢٢٦)

ث. أتباعهم تراجعوا سريعًا أو انصهروا في تيارات أخرى، ما يشير إلى ضعف في البنية الفكرية والتنظيمية. (الغطاء، ١٤١٥هـ، ص٢١٧)

وبذلك، يبدو أن الفطحية لا تنطبق عليهم شروط "الفرقة"، بل كانوا تيارًا هشًّا تشكّل نتيجة ضغوط انتقال الإمامة بعد استشهاد الإمام الصادق (ع)، وسرعان ما تراجع أمام حزم المدرسة الكاظمية.

إن وصف الفطحية بأنها "فرقة" يبدو – عند المراجعة النقدية – توصيفًا متسرّعًا لا تدعمه المعايير العلمية والمصطلحية الدقيقة. فغياب المدرسة، والمذهب الفقهي، والتنظير العقدي، والأدبيات المستقلة، تجعل من الفطحية ظاهرة مؤقتة أو تيارًا محدود الأثر. وكان الأجدر بكتب الفرق أن تُدرجهم ضمن الحركات العابرة أو الاتجاهات غير المكتملة، لا كفرقة قائمة الذات.

المبحث الخامس: العوامل التي أدت إلى اندثار الفطحية

إذا كانت الفطحية قد وجدت لنفسها موطئ قدم بعد استشهاد الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)، فإن بقاءها لم يكن طويلًا، وقد طُويت صفحتها خلال عقود معدودة، حتى غابت تمامًا عن مشهد التشيّع الفعّال، ولم يبقَ من حضورها إلا إشارات محدودة في كتب الرجال والفرق.

وهنا سنحاول رصد الأسباب الجوهرية التي أدت إلى اندثار هذا التيار أو الظاهرة، وذلك عبر تحليل المعطيات الاجتماعية والعقائدية والسياسية التي أحاطت بعبد الله الأفطح وأتباعه، ومقارنة مسارهم بما واجههم من تحديات داخلية وخارجية.

أولًا: غياب القيادة بعد وفاة عبد الله الأفطح

من أبرز أسباب اندثار الفطحية انقطاع السلسلة القيادية مباشرة بعد عبد الله بن جعفر، فقد أجمع المؤرخون على أنه:

١. لم يخلف ولدًا ولا نصّ على إمام بعده سوى ما اسلفنا بيانه من الوصية لأخيه العريضي الذي تبرأ من ذلك ، مما شكّل أزمة داخل التيار

٢. وقع أتباعه في ارتباك، فمنهم من رجع إلى إمامة موسى الكاظم (ع) (قطب الدين الراوندي، ١٤٠٩هـ ، ج١ ، ص٣٠٩)، ومنهم من توقف، وبعضهم انتقل إلى الواقفة لاحقًا (الطوسي، ١٤١١هـ ، ص٨٤).

٣. سحب الغطاء الشرعي والعقائدي من التيار، حيث لم تعد له مرجعية حية تُؤَطِّر أفكاره وتوجّه أتباعه.

وبهذا تكون الفطحية قد عجزت عن الاستمرار بسبب غياب آلية الخلافة في زعامة الطائفة، وهو ما لا يمكن تجاوزه في الحركات الإمامية التي تقوم على مفهوم الإمامة المتسلسلة.

ثانيًا: قوة التيار الكاظمي وتماسكه

في مقابل تراجع الفطحية، كانت المدرسة الكاظمية في صعود مطّرد، حيث امتاز الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام):بقاعدة روحية وعلمية واسعة وبشخصية قوية وقادرة على استقطاب كبار التلاميذ والمحدثين أمثال هشام بن الحكم، وعلي بن يقطين[١]، وصفوان بن مهران[٢].

كما أن المدرسة الكاظمية استطاعت تكوين خطاب مذهبي متماسك، مدعوم بروايات متقنة وشبكة وكلاء فاعلة (رسول جعفريان ، ١٤١٤هـ ، ج٢ ، ص١٢٨).

وهذا يُظهر أن الفطحية لم تكن قادرة على منافسة المشروع الكاظمي، لا على المستوى المعرفي ولا التنظيمي، ما أدى إلى انحسارها التدريجي.

ثالثًا: احتواء الاتجاه الفطحي داخل الخط الإمامي لاحقًا

واحدة من الظواهر اللافتة أن عدداً من الفطحية لم يُقصَوا بالكامل من المشروع الإمامي، بل:

---

(١) أبو الحسن علي بن يقطين بن موسي البغدادي وُلد عام ١٢٤هـ في الكوفة في نهاية الحكم الأموي. كان أبوه من خصوم بني أمية ومن أنصار العباسيين الكبار.ففي زمن بني امية كان أبوه يقطين مطاردا من قبل مروان بن محمد فكان يختفي عنه. وكان علي من وزراء هارون الرشيد، الخليفة العباسي، ومن أتباع الإمامين الصادق والكاظم، ولكنه كان يخفي ذلك. ينظر: البرقي ، احمد بن محمد بن خالد ، (ت:٢٧٤هـ) ، الرجال ، انتشارات دانكشاه تهران ، (طهران ـ د.ت) ، ص٤٨ .

(٢) صفوان بن مهران الأسدي، المعروف بصفوان الجمّال، هو من رواة الحديث في القرن الثاني الهجري، وأحد أصحاب الإمامين الصادق والكاظم . ينظر: الطوسي، محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، تحقيق: حسن المصطفوي، مؤسسة جامعة مشهد، ط ١، ١٤٠٩ هـ، ج٢ ، ص٧٤٠.

تم استيعابهم في الخط الكاظمي لاحقًا، بعد رجوعهم عن القول بإمامة عبد الله (النوبختي، ١٤٠٤ق ،ص٢١٣)، وبعضهم حُمل على حسن الظن لجهلهم أو لتأويلهم لوصية الإمام الصادق (الزراري، ١٣٩٩هـ ، ص٧١)، وكثير من الروايات تشير إلى عودة عدد منهم إلى الإمام موسى الكاظم مباشرة بعد وفاة عبد الله (الأشعري ، ١٣٦٠ش ، ص٢٢٥).

وهو ما يدل على أن الاندثار لم يكن فقط بسبب المواجهة الخارجية، بل لأن الفطحية لم تكن على درجة من الاستقلال الفكري أو العقائدي تؤهلها للصمود أمام الخط العام للتشيع الإمامي.

رابعًا: هل كان للفكر العباسي دور في دعم بعض روافد هذا التيار لإضعاف الكاظمية؟

من الأسئلة التي تطرح نفسها:

هل استُخدم تيار الفطحية مؤقتًا كأداة لصرف الأنظار عن الإمام موسى الكاظم (عليه السلام)، كما حصل مع الواقفة لاحقًا؟ لا توجد أدلة قاطعة، لكن بعض المؤشرات توحي بأن العباسيين قد رحبوا بأي انقسام **داخل** الصف الإمامي، ولو بصورة غير مباشرة، عبد الله الأفطح كان معروفًا بهدوئه وقلة تصديه للسلطة (ابو نصر البخاري ، ١٤١٣هـ ، ص٣٤)، مما قد يجعل منه شخصية مفضلة لدى من لا يرغب بزعيم معارض كالكاظم و الرضا (عليهم السلام)

وربما سُمح له بالحركة أو التغاضي عن نشاط أتباعه لفترة قصيرة ضمن سياسة احتواء **الإمامية**.

ومع ذلك، لم تظهر دلالات قوية على دعم عباسي مباشر للفطحية، لكن غياب الاضطهاد الحاد تجاههم – مقارنة بالكاظمية – قد يكون قد منحهم هامش حركة محدود، قبل أن يضمحل هذا التيار تدريجيًا من تلقاء نفسه، وهكذا، فإن اندثارهم لم يكن مفاجئًا، بل كان منسجمًا مع طبيعة الظاهرة نفسها، التي لم تبلغ من التماسك ما يؤهلها للحفاظ على وجودها.

الخاتمة

توصّل هذا البحث إلى جملة من النتائج المهمّة التي تسهم في توضيح مرحلة دقيقة من تاريخ الإمامة:

١. إنَّ شخصية عبد الله بن جعفر لم تكن ذات حضور علمي أو فقهي يُعتدّ به داخل المدرسة الإمامية، وقد افتقرت دعواه إلى المقوّمات الأساسية التي تشترطها الإمامة من العلم، والنص، والوصية، والعصمة.

٢. الفرقة الفطحية لم تتشكّل انطلاقًا من منظومة فكرية ناضجة أو مذهب عقائدي مستقل، بل نشأت كردّ فعل ظرفي على حالة فراغ قيادي بعد استشهاد الإمام الصادق (عليه السلام)، واستندت إلى اعتبارات عرفية كعامل السنّ، لا إلى أسس عقدية راسخة.

٣. كان للقب "الأفطح" دور في تمييز هذا الاتجاه، إلا أن دلالته لم تكن فكرية أو رمزية عميقة، بل ارتبطت بصفة جسدية تحوّلت إلى هوية اصطلاحية لجماعة لم تلبث أن اندثرت.

٤. واجهت الفطحية نقدًا داخليًا حازمًا من قِبل رموز المدرسة الإمامية، كهشام بن الحكم وداود الرقي، الذين دحضوا دعوى عبد الله بالأدلة النقلية والعقلية، مما عزّز مركزية النص والعلم كشرطين أساسَين في الإمامة.

٥. تبيّن أن الفطحية لم تكن فرقة بالمعنى المصطلحي الدقيق، إذ لم تمتلك مؤسسات مستقلة، ولا تراثًا فقهيًا أو كلاميًا متميزًا، ولذلك فإن توصيفها بكونها "ظاهرة فكرية محدودة" أو "تيارًا عابرًا" أكثر دقّة من اعتبارها مذهبًا أو فرقة قائمة بذاتها.

٦. كان لغياب القيادة بعد وفاة عبد الله، وعدم وجود خلف له، أثر كبير في زوال هذا الاتجاه، فضلاً عن صعود المدرسة الكاظمية التي تميّزت بالتنظيم، والامتداد العلمي، ووضوح النصوص، مما جعلها تتفوّق بسرعة وتستعيد زمام المبادرة داخل التيار الإمامي.

٧. استُخدم اسم "الفطحية" في ما بعد كمصطلح تقني في كتب الرجال، دون أن يبقى له حضور عقدي فعلي، بل تحوّل إلى توصيف تاريخي لحالة مؤقتة، لا إلى مشروع مذهبي له استمرارية.

وبناءً على ما تقدم، فإن تجربة الفطحية كشفت عن قدرة المدرسة الإمامية على تجاوز الأزمات الداخلية، والتمييز بين الإمامة الشكلية والإمامة الحقيقية القائمة على النص والعلم، كما أبرزت أن الانحرافات التي لا تستند إلى أسس راسخة سرعان ما تنهار أمام قوة المبدأ ووضوح المسار.

المصادر والمراجع

١. الأردبيلي، المحقق،(١٤١٤هـ) مجمع الفائدة، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم.

٢. الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد،(١٤٢١هـ) تهذيب اللغة، ط١، دار إحياء التراث، بيروت.

٣. الأشعري، أبو الحسن، ، (١٣٦٠ش) المقالات والفرق، ط٢، مركز انتشارات علمي.

٤. البخاري، أبو نصر، (١٤١٣هـ) سر السلسلة العلوية، ط١، انتشارات الشريف الرضي.

٥. البغدادي، عبد القاهر، (١٤١٥هـ) الفرق بين الفرق، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

٦. الجزائري، نعمة الله، (١٤٢٩هـ) الأنوار النعمانية، دار القاري، بيروت.

٧. الخصيبي، حسين بن حمدان، (١٤١١هـ) الهداية الكبرى، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

٨. خليفة بن خياط، (د.ت) تاريخ خليفة بن خياط، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.

٩. داود الرقي، (١٤١٢) الإمامة الكبرى، مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

١٠. الرفاعي، محمد بن عبد الله، (١٤٣٧هـ) الثبت المصان المشرف بذكر سلالة سيد ولد عدنان، كتابخانه بزرگ حضرت آيت الله العظمى مرعشى نجفى (ره)، گنجينه جهانى مخطوطات اسلامى، قم.

١١. الطبري، محمد بن جرير، (١٤١٣هـ) دلائل الإمامة، مركز الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة، قم.

١٢. العلامة الحلي، فخر الدين، (١٤٠٩هـ) الشجرة المباركة في أنساب الطالبية، مكتبة آية الله العظمى المرعشي، قم.

١٣. قطب الدين الراوندي،(١٤٠٩هـ) الخرائج والجرائح، ط١، مؤسسة الإمام المهدي، قم.

١٤. كاشف الغطاء، محمد حسين،(١٤١٥هـ) أصل الشيعة وأصولها، ط١، مؤسسة الإمام علي.

١٥. الكليني، أبو جعفر،(د.ت) الكافي، ط١، دار الحديث للطباعة والنشر، قم.

١٦. المجدي، محمد بن علي،(١٤٠٩هـ) في أنساب الطالبين، مكتبة آية الله العظمى المرعشي، قم.

١٧. المجلسي، محمد باقر، (١٤٠٣هـ)، بحار الأنوار الجامع لأخبار الأئمة الأطهار، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٨. محمد بن جعفر الطوسي،(١٤١٧هـ) الفهرست، ط١، مؤسسة نشر الفقاهة.

١٩. المفيد، محمد بن محمد،(١٤١٣هـ) الإرشاد، ط١، دار المفيد، بيروت.

٢٠. المناوي، محمد عبد الرؤوف، (١٤١٠هـ) التوقيف على مهمات التعاريف، ط١، عالم الكتب، القاهرة.

٢١. نعمة الله الجزائري،(١٤٢٩هـ) الأنوار النعمانية، دار القاري، بيروت.

٢٢. هشام بن الحكم،(١٤١٢هـ) الإمامة، مؤسسة النشر الإسلامي، قم.